سلاح الكلمة والشعر

سورة الشعراء.. والبناء الإعلامي

وصورة التكامل في مواجهة التحدي

« ١ »

سورة الشعراء سورة مكية بدئت بالإشارة إلى أن الآيات القرآنية هي آيات الكتاب البين الواضح الجلي الذي يفصل بين الحق والباطل والغي والرشاد، ثم بخطاب النبي ﷺ خطاباً يبدو تسلية له عليه الصلاة والسلام، في عدم إيمان من لم يؤمن به من الكفار ﴿طسم ۝١ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝٢ لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ۝٣﴾ [الشعراء: ١-٣]. أي لعلك قاتل نفسك غماً من أجل أن أهل مكة لم يؤمنوا ويكونوا في عداد من استجاب لدعوة الحق.

وختمت هذه السورة المباركة بآيات تكشف عن حقيقة الشعراء الذين ظلوا على كفرهم، واتخذوا من شعرهم سلاحاً يحاربون به دعوة الإسلام ورسول الله والمسلمين وعن عاقبة أمرهم عند الله. كما تكشف عن حقيقة الشعراء الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وأكثروا من ذكر الله، ووقفوا شعرهم على نصرة الدين، والذود عن حياضه، وشد أزر الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام.

وتلكم الآيات هي قول الله تبارك وتعالى بدءاً من الآية الرابعة والعشرين بعد المئتين: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ۝٢٢٤ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ۝٢٢٥ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ۝٢٢٦ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ۝٢٢٧﴾ [الشعراء: ٢٢٤ ــ ٢٢٧]. وواضح أن فواتح السورة ترمي ــ والله أعلم ــ إلى التبصير بموقع القرآن الكريم من حياة البشرية وإلى تنمية الإدراك بكونه ــ وهو كتاب هداية ونور ــ فيصلاً بين الحق والباطل، وبين الرشاد والغي على مدى الزمن، حتى يرث الله الأرض ومن عليها. ﴿طسم ۝١ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝٢﴾ وقد تكرر ما يدل على ذلك في كثير من المواطن.

ثم إن الحق الذي نزل به هذا الكتاب المبين لا بد من الإخلاص في الدعوة إليه، وصدق الرغبة في أن يستجيب الإنسان لهذه الدعوة؛ وذلك ما كان من رسول الله ﷺ، فقد كان يعاني ما يعاني من إعراض المشركين، وأذاهم، ولكنه في الوقت نفسه يتقلب على الجمر حزناً ألا يستجيبوا لدعوة الحق، ويكاد يهلك نفسه حسرات ألا يكونوا مؤمنين مصدقين ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾.

فالله تعالى يسليه ويدعوه إلى الإشفاق على نفسه من هذا الهم الشاغل الذي يكاد يهلكها كما في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾ وكما في قوله جل ذكره: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾﴾ [الكهف: ٦].

غير أن الدعوة إلى الحق، لا يكفي معها صدق الرغبة في الاستجابة والتحرّق من أجل الإيمان، بل لا بد من إعداد ما يجب على ساحات الصراع بين الحق والباطل، والتسلح في مواجهة التحدي.

وهذا بعض ما دلّت عليه الآيات التي جاءت على ذكر الشعراء؛ فقد استُخدم الشعر سلاحاً إعلامياً في معركة الصراع من قبل المشركين، وبعد ذمهم الدقيق المعلَّل بما يجترحون: أثنى الله على شعراء الصف الإيماني الذين استخدموا هذا السلاح ـ في ميدان الإعلام ـ مؤمنين يعملون الصالحات، ويذكرون الله كثيراً فنصروا الحق وأهله، ونافحوا بشعرهم عن رسول الله. وإنه لدرس يوجب ـ كما سنرى فيما بعد ـ تنمية الإحساس الصادق عند الجيل بدعوة الحق، والتسلح بكل سلاح مشروع يُجدي في ساحة الصراع بين الحق والباطل؛ ومن ذلك سلاح الكلمة لتبصير الناس بحقيقة ما يجري، وما هو حق وما هو باطل، وجمعهم على ما فيه قوتهم في الدنيا وفلاحهم في الآخرة.

والتنهيج في وضع الأمور مواضعها على ساحة الصراع: أمر على غاية الأهمية والله وليّ المجاهدين الصابرين.

الشعر والكلمة المؤمنة...
والبناء المتكامل في الإعلام والمواجهة
«٢»

كان من صور التكامل في بناء المسلم بناءً يمكِّنه من أداء الرسالة ومواجهة ما يعترض من تحديات وعقبات ـ ما وقفنا عليه المعلم القرآني في سورة الشعراء ـ وهي سورة مكية ـ من إظهار أولئك الذين اتخذوا من الكلمة الظالمة سلاحاً في مواجهة دعوة الحق وأهلها، وهم شعراء المشركين: على حقيقتهم، فهم واقعون في الغواية ولا يتبعهم إلا الغاوون، وواقع هؤلاء الشعراء ناطق بما نبه عليه القرآن الكريم، جاء ذلك في قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾﴾.

والأمر الذي يدل على واقعية القرآن: ما نجد من توجيه المسلمين إلى أن بمقدورهم ـ وهم يصارعون الشرك والجاهلية ـ: أن يستخدموا الشعر سلاحاً ـ من منطلق العقيدة ـ سلاحاً صادق الإعلام يذودون به عن حياض الرسالة ويردون كيد الأعداء في نحورهم، إذ كان منهم الافتراء وهجاء الرسول عليه الصلاة والسلام.. وهذا التوجيه نجده في ذلك الاستثناء الذي حملته الآيات التاليات، فبعد قوله جل شأنه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾﴾ جاء قوله سبحانه: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً وَانتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾.

وقد أشرت في كلام سلف، إلى أن هؤلاء الذين منحهم الله موهبة الشعر وخالطت بشاشة الإيمان قلوبهم، وكان منهم العمل الصالح بمفهومه الشامل العميق، وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا.. هؤلاء الشعراء ينالون شرف المشاركة العملية في

الصراع الذي تدور رحاه بين الإيمان والكفر، إنهم يشاركون بسلاح فعّال هو سلاح الكلمة في ميدان الشعر، ولذلك، ما له من تأثير في النفوس وقدرة على التأثير في الناس، وتيسير الاقتناع بالفكرة المطروحة التي يراد إيصالها إلى العقول والقلوب.

ولقد منّ الله على العديد من أولئك الذين كانوا ينطقون بالكلمة الكافرة الفاجرة في مواجهة رسول الله ﷺ والمسلمين.. فثابوا إلى رشدهم ودخلوا في عداد أهل الإيمان، ومن هؤلاء عبد الله بن الزبعرى الذي قال حين أسلم مخاطباً رسول الله عليه الصلاة والسلام:

يا رسول المليك إن لساني   راتِق ما فتقت إذ أنا بور

إذ أجاري الشيطان في سنن الغيّ   ومن مال ميله مثبور

وكذلك أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، كان من أشد الناس عداوة للنبي ﷺ وهو ابن عمه، وأكثرهم له هجواً، فلما أسلم ــ عن حرية وقناعة ــ: لم يكن أحد أحب إليه من رسول الله، وأصبح يمدحه صلوات الله وسلامه بعدما كان يهجوه. هكذا يقدم المنهج القرآني الحقيقة بكل أبعادها ليكون المسلم على بينة من أمره، وهو يخوض معارك الحياة في كل عصر، ويعمل على بناء الحضارة التي تسعد الإنسان.

وتنميةُ الإحساس بحجم الكلمة يلقيها الإعلام العادي، وضرورة استخدامها بصدق وموضوعية على أرض الصراع: درس من الدروس التي تمليها تلكم الآيات من سورة الشعراء. وكلما ازداد إدراكنا لأهمية الكلمة والوظيفة التي تؤديها على ساحة الإعلام.. اتضحت لنا الحكمة في عناية القرآن بهذا الجانب من جوانب العلاقة بين المسلمين وأعدائهم، وأن ميادين الجهاد نصرةً للحق مشرعة الأبواب، ومنها الجهاد بالكلمة المسؤولة المؤمنة وإذن فلا بد من البناء الصحيح في هذا الميدان على تنوع شعبه في ذُكرٍ لما كان من الثناء القرآني على أولئك المجاهدين الصادقين بالكلمة وهو قوله جل وعز: ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾.

أبعاد الكلمة.. والبناء الإعلامي وسورة الشعراء

« ٣ »

تطور الوسائل التي تستخدم بها الكلمة وتنوُّع ميادين هذه الكلمة، نثراً كانت أو شعراً، أو غير ذلك مرئية أو مسموعة بكل ما وصل إليه العلم من صنوف وأساليب.. كل ذلك يدعونا إلى الإفادة من مراحل التقدم والتطوير على ساحة التعليم والإعلام، دونما عدوان على الأصالة، أو الغفلة عن مرتكزات الأمة في كتاب ربها، وسنة نبيها عليه الصلاة والسلام. وفي ذلك إغناء لطريق الفرد والمجتمع، فكراً ووعياً لما يدور في دنيا الواقع وقدرة على استخدام الكلمة بفاعلية في مواجهة التحديات.

والآيات التي ختمت بها سورة الشعراء أشارت ـ كما رأينا فيما سلف من القول ـ إلى حقيقة واقعة في العصر الجاهلي هي وضع الشعر في خدمة الكفر وأهله على ساحة الصراع بين الحق والباطل، وذلك ما صنعه شعراء الكفر والضلالة، وفي المقابل: وضعُه في عصر النبوة في خدمة الإيمان وأهله والذود عن رسول الله ﷺ، وذلك ما صنعه أولئك الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الشعراء، وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا.

والفئة الأولى هي الظالمة، ظالمة لنفسها، وللآخرين، بل ظالمة للحق تُظاهر الباطل وأهله عليه، وعاقبة ذلك واضحة فيما حمل قوله تعالى في ختام السورة: ﴿**وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ**﴾ من التهديد والوعيد بسوء المصير في الدنيا والآخرة.

والحق أن النظرة المتأملة التي لا تهمل الواقع، ولا الحجم الذي تأخذه الكلمة على صعيد الإقناع والمواجهة والتعرف على حقيقة الأحداث ودلالاتها القريبة والبعيدة.. الحق أن هذه النظرة المتدبرة تقودنا مرة أخرى إلى التبصُّر في تلكم الآيات التي كانت خواتم سورة الشعراء وهي قول الله تعالى بدءاً من الآية الرابعة

والعشرين بعد المئتين: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾.

لقد تنزلت هذه الآيات المكية ورحى الصراع بين الوثنية والتوحيد دائرة، وشعراء الكفر يهجون النبي محمداً ﷺ ويعملون على صدّ الناس عن دعوته؛ لذا قال كثير من علماء التفسير: أريد بالذمّ والوعيد في الآيات، هؤلاء الشعراء، الذين كانوا يؤذون رسول الله بالمهاجاة والسيء من القول في شأن القرآن ومنهم: عبد الله بن الزبعرى السهمي، وهبيرة بن أبي وهب المخزومي، وسافع بن عياض الجُمحي، وأمية بن أبي الصلت الثقفي، قبل أن يُسلم من أسلم منهم، إذ تكلموا بالكذب، وتسافهوا بالباطل في حق النبي ﷺ ودعوته، وقالوا: نحن نقول مثل ما قال محمد، ويجتمع إليهم غواة قومهم يسمعون أشعارهم حين يهجونه عليه الصلاة والسلام وأصحابه، ويروون ذلك عنهم، يحدثون بذلك ضجة إعلامية فكرية على زعمهم؛ فذلك قوله جل وعز: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾﴾ وقيل: الغاوون هم السفهاء والضالون عموماً، وفيهم مردة الشياطين وعصاة الجن.

وبالنسبة لمن استثنوا بقوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ الآية: يدخل فيهم شعراء الأنصار وغيرهم. حتى يدخل فيهم من كان متلبّساً من شعراء الجاهلية بذم الإسلام وأهله ثم تاب وأناب ورجع وأقلع ـ كما يقول ابن كثير ـ وعمل صالحاً وذكر الله كثيراً في مقابلة ما تقدم من الكلام السيء؛ فإنّ الحسنات يذهبن السيئات وامتدح الإسلام وأهله في مقابلة ما كان يذمه كما قال عبد الله بن الزبعرى حين أسلم. وقد سبقت الإشارة إلى ذلك.

ومهما يكن من أمر: فإن عناية القرآن بهذا الجانب من الصراع بين الكفر والإيمان على الصعيد الإعلامي: يدعو إلى مزيد من العناية ببناء الإنسان المسلم ـ ذكراً كان أو أنثى ـ على دعوة الحق فكراً وعملاً وقدرة على تبين السلاح الذي يستخدمه العدو ومنه سلاح الكلمة في نطاق الإعلام، ليكون قادراً بموضوعية ومعرفة على مواجهة التحدي والله في عون العالمين الصادقين.

أبعاد الكلمة البناءة سورة الشعراء..
وأسلحة المواجهة الإعلامية
« ٤ »

أهمية الكلمة وأبعادها في ميدان الاتصال والإعلام عموماً، وما يجب من إدراك للواقع الذي يحمل ما يجري على ساحة الأحداث ذات العلاقة بالأمة المسلمة على وجه العموم، أو بفريق من أبنائها، أو قطر من أقطارها على هذه المعمورة.. كل ذلك يعطي مزيداً من الأهمية لما كشفت عنه خواتم سورة الشعراء حين عرضت للشعراء عموماً، وكشفت الزيف واستخدام الكلمة لنصرة الباطل، وخطر ذلك على المجتمع، ثم استثنت أولئك الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا، وتوعدت الظالمين بسوء المنقلب في الدنيا والآخرة وذلك في قول الله تعالى: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾.

لقد كانت الخطوة الأولى على الطريق الإعلامي ـ والفئة القليلة المؤمنة تصارع الوثنية بجبروت أهلها وطغيانهم ـ الكشفَ عن حقيقة أولئك الشعراء وغوايتهم، وبيان أن من يتبعونهم هم الغاوون، فهم يستخدمون شعرهم ـ وللشعر ما له من تأثير، وله ما له من وزن عند العرب يومذاك ـ .. يستخدمونه في الضلال والإضلال، وحماية العبث والباطل، وأذية أهل الإيمان، وعلى رأسهم نبيهم محمد عليه الصلاة والسلام. وأولئك الأتباع الأغمار في كثير من الأحيان يصفقون لهم، ويروّجون ما أرادوه من محاربة الحق وعقيدة التوحيد من طريق الهجاء والافتراء،

وتزيين الجهالة والجاهلية: فشعراء الضلال يتبعهم الغاوون من الإنس والجن، ويروون شعرهم المناوىء للحق، بين الجهالة والجاهلية؛ فيشيعون ما يريده أهل الشرك من الباطل وإضعاف شوكة المسلمين، لأن الغاوي لا يتبع إلا غاوياً مثله.

ومما يجب التنبه إليه هذا التوجيه الرائع في تحري الحق، وإقامة الدليل على ما يُدَّعى عند طرح الفكرة أو تقديم الخبر وتحليله للناس؛ فبعد قوله سبحانه: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴿٢٢٤﴾﴾ جاء الاستدلال لهذه الدعوى وبيان أنها هي الحقيقة بقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾﴾ إن شعراء المشركين ومن على شاكلتهم يهيمون في كل واد، فليس هنالك ضوابط إيمانية ولا منهج أخلاقي؛ يذمّون اليوم من امتدحوه بالأمس، ويعرفون الحق ويحيدون عنه.. ناهيك عن الكذب والتزييف مظاهرةً للشرك والمشركين على الإيمان والمؤمنين. وفي الوقت نفسه تجدهم يقولون ما لا يفعلون، فقد يدعون إلى خصلة مستحبة ولكنهم لا يفعلونها، بل ترى الفعل يناقض القول.

ثم إن هاتين الآيتين ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾﴾ كما تقيمان الدليل على مضمون ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴿٢٢٤﴾﴾ تعطيان درساً في أمانة الكلمة وما يدعيه صاحبها، وعدم إلقاء الكلام جزافاً دونما حجة تصدِّق الدعوى. ومن هنا كان لا بد من اليقظة لتصرف الإعلام المعادي وتبيُّن جوانبه، وإدراك مسالكه ومرتكزاته، مصحوباً ذلك بأن يكون المجتمع الإسلامي على منهج الصدق وتحري الحقيقة، بحيث تكون الكلمة الموزونة سلاحاً ماضياً في نصرة الحق، وقوة لا يستهان بها في مواجهة التحديات.

على أن في تنمية هذه المقومات عند العاملين: تكريماً للإنسان، وبعداً عن الاستهانة بعقله ومشاعره، وارتقاءً بالكلمة إلى مستوى الثقة والطمأنينة؛ فالآيات الكريمات كشفت بوضوح عن طبيعة السلاح المعادي في ميدان الإعلام، وقدمت الدليل الناصع البيِّن على الحقيقة التي طرقها. وذلكم قبس من هداية الكتاب العزيز في معالمه الخيِّرة، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

البناء الإعلامي ومواجهة التحديات في سورة الشعراء

«٥»

ترى هل كان الأمر في خواتم سورة الشعراء مقصوراً على ذم أولئك الشعراء الذين وضعوا الكلمة في غير موضعها، فظاهروا أهل الشرك على أهل الإيمان، واستهتروا بالأخلاق والقيم، فهم في كل واد يهيمون ويقولون ما لا يفعلون، وعلى ذم من يتبعونهم في صنيعهم ويتمرغون في أوحال الغواية، لأن الغاوي لا يتبع إلا غاوياً مثله ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾﴾.

هل كل الأمر مقصوراً على ذلك؟ إن الجواب على هذا التساؤل يحمله الاستثناء الصريح في قول الله تباركت أسماؤه: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً وَانتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾.

وإذن فالقضية ليست على إطلاقها، والشعراء الذين ذمهم القرآن وذم أتباعهم ومن يوالونهم، لم يقف الكتاب العزيز هذا الموقف منهم لأنهم شعراء وكفى، ولكن لأنهم ظلموا باستخدام شعرهم في مظاهرة الشرك على الإيمان وهجاء رسول الله والمؤمنين، وكانوا مستهترين بالقيم، غير عابئين بالأخلاق، وذلك ما يدل عليه مضمون الاستثناء المشار إليه ﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً وَانتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا﴾.

إن الشاعر المؤمن، الذي ينطلق فيما يقول من شعر: من أبعاد العقيدة الصحيحة ومنهجها، وديدنُه عمل الصالحات ـ ومنها استخدام شعره سلاحاً في معركة الصراع بين الحق والباطل، وذكر الله كثيراً، والانتصار من بعد الظلم ـ.. إن هذا الشاعر مستثنى من أولئك الذين قال الله فيهم ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾﴾.

فالشعراء المؤمنون يحملون لواء الحق، فيتبعهم أنصار الحق، وينشرون شعرهم ويروّجون أفكارهم التي وضعوها في خدمة الأمة وقضاياها، شأن أهل الاستقامة والهداية. أما أولئك فيتبعهم الغاوون.. وهم بوصفهم مؤمنين صادقين يعملون الصالحات، ومن عيون هذه الأعمال ــ كما أشرنا ــ أن يكونوا جنوداً للحق. يضعون الكلمة في الموضع الذي تمليه العقيدة، بعد أن يتحروا صدقها والأمانة فيها، فلا يخوضون مع الخائضين، ولا يلغون مع اللاغين، فهم دائماً على بصيرة وذكرٍ لله عز وجل، لا تنسيهم الكلمة من أعطاهم القدرة على الكلمة، ولا تجنح بهم لذائذ الدنيا وشهواتها ومراتبها عن اليقظة الإيمانية مراقبة لله عز وجل في تساوق بين السلوك المستقيم والغاية العظيمة. فهم حين يقولون ما يقولون، ينتصرون للعقيدة التي آمنوا بها وأوذوا في سبيلها. إنهم على الحق والهدى في مواجهة الباطل والظلم ﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً وَانتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا﴾.

وفي تنبيه على الآثار السيئة التي يخلّفها الظلم في وضع الكلمة موضعاً لا يرضاه الله ورسوله والمؤمنون: جاء الوعيد على هذا الظلم الذي هو تجاوز الحق إلى الباطل تعالى: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً وَانتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا﴾.

إن الكلمة المؤمنة ــ وهي ذوب القلب المؤمن، ولهفة المشاعر الصادقة: إنما تأخذ حياتها ووجودها العملي من الأمانة فيها، والإخلاص في أن تأخذ طريقها لنصرة الحق وأهله مهما غلا الثمن. وذلكم ما وجه الله المعلم القرآني وذلّلت طريقه إلى القلوب والعقول تلكم التبصرة القرآنية في هذه السورة المباركة سورة الشعراء.

البناء والوعي.. والكلمة المسؤولة في الإعلام

«٦»

بناء الإنسان المسلم على العقيدة ووعي ما حوله، والإدراك التام لطبيعة الصراع بين الوثنية وعقابيلها الجاهلية وبين التوحيد.. هذا البناء كان مبكراً آذنت به الكلمات الأولى فيما أوحي به إلى محمد عليه الصلاة والسلام من قول الله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾ [العلق: ١ ــ ٥].

ونقول: كان مبكراً، لأن الإنسان هو الطاقة القادرة بإذن الله على البناء والإنماء. ومن أجل هذا الإنسان تبذل المساعي والجهود لبناء مجتمع سليم تتوافر له عناصر النماء في المرافق والميادين جميعها، كما يتوافر له ما يحقق العبودية الخالصة لله عز وجل.. وإهمال الإنسان عدوان على الغاية التي من أجلها يكون الكد والسعي واستكمال جوانب العمل والإنجاز.

ولا تعجب بعد هذا إذا رأيت القرآن الكريم ــ وهو يبني الإنسان المسلم ــ ينبه الفئة المؤمنة منذ العهد المكي على واحد من أسلحة المشركين، وهو الشعر الذي استخدمه شعراؤهم في معركة الصراع مع دعوة الحق ، ويكشف النقاب عن سقوط هؤلاء الشعراء وغوايتهم، وعن أن الغاوين هم الذين يتَّبعونهم ويروون شعرهم، ويروجونه سلاحاً يُهجى به رسول الله وترى التابعين والمتبوعين يحاولون قلب الحقائق والافتراء والتهوين من شأن القرآن الكريم لأن الغاوي لا يتبع إلا غاوياً مثله، ولم لا يُحكم على هؤلاء المتبعين بذلك؟! وهم يُدعون إلى الإسلام الذي فيه خيرهم وسعادتهم وإنقاذهم من الهلكة، كل ذلك بالحجة القاطعة والبرهان الساطع.

والذي يدعوهم إلى ذلك هو الصادق الأمين الذي ما عرفوا عنه إلا استقامة الخلق وكمال الأمانة والوفاء، وإذن فهم مسؤولون أيضاً، يتحملون تبعة انقيادهم الأعمى، وترويجهم ما يطرحه شعراء الشرك محاربة لله ولرسوله وللمؤمنين. والكلمة القرآنية وهي تبني الإنسان المؤهل لحمل الرسالة ومواجهة التحديات لم تدع أن تقيم الدليل على القضية المطروحة وهي سقوط شعراء الشرك وتهافتهم؛ فلم يقتصر الأمر في سورة الشعراء على قوله تعالى: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾﴾ بل تلا ذلك الدليل الواضح على هذه الدعوى فقال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾﴾ وإنها للمحة من لمحات الإعجاز، قضية تطرح عن شعراء المشركين، مصحوبة بالدليل على ما ينطق به واقع هؤلاء الشعراء.

وفي الوقت نفسه يُبصَّر التابعون ورواة هذا الشعر الظالم المشرك: أن صنيعهم هذا من الغواية، بل هو الغواية عينها والعاقل من يتبصر ويعي.. وإذا كنا في دنيا الواقع اليوم نشكو من الكلمة التي تضلل الرأي العام في كثير من بقاع العالم ويصيب المسلمين من ذلك ما يصيبهم، فما أشد الحاجة إلى قراءة جديدة لهذا الجانب الإعلامي في منهج القرآن الكريم، حيث الكشف عن سلاح الكلمة عند العدو، والعمل على فلّه وتعطيله باللغة المناسبة، بالكلمة الصادقة، والدليل الناصع، بتبصير الإنسان ـ من حيث هو إنسان ـ بحقيقة ما عليه دعاة الغواية والشر.. على أن المعلم القرآني يقفنا على الوجه الآخر للموضوع حيث يستخدم الشعر سلاحاً بيد المؤمنين. ولنا عودة إلى ذلك إن شاء الله.

قضايا الأمة في البناء..
وقبس من الهدي النبوي في الإعلام
« ٧ »

قضايا الأمة المصيرية وما ــ أكثرها ــ يأخذ الإعلام أبعاداً مؤثرة فيما يحسن أو يسيء إليها، وإعلام الأعداء واليهود منهم بخاصة، وقل مثل ذلك فيمن يسير في فلكهم: قد أعدت له العُدة العلمية والفنية، ومع كل ساعة من ساعات الزمن نجني من أذاه وعدوانه الظاهر والمستتر الماكر الصاب والعلقم.. وهذا بعض مما يجب أن يحفز الأمة للعمل الجاد كي ترتقي بقدراتها ــ ومنها القدرة الإعلامية ــ إلى مستوى المواجهة في نطاق الإعداد لمعركة طويلة الأمد، متنوعة الميادين أقول: بعض مما يجب أن يحفز الأمة، لأن المفروض أن تنتهج الأمة طريق البناء والإعداد بذاتية وأصالة ومراعاة لما يجب أن يكون بوصفها أمة تحمل الرسالة الخاتمة للناس، لا أن تتحرك بردود فعل بعيدة عن المنهجية هنا وهناك.

وفي كلمات قريبة العهد ــ والحديث يدور حول الاستثناء الذي حملته بعض الآيات في سورة الشعراء وهي قوله تعالى: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً وَانتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ ــ كانت الإشارة إلى الهدي النبوي في موقفه عليه الصلاة والسلام من الشعر وكان من أمضى الأسلحة البيانية الإعلامية في معركة المسلمين مع أعداء الله.

فالرسول ﷺ وهو يسهر على بناء الإنسان المسلم والمجتمع المسلم، ويُعد القوة المستطاعة في مواجهة من يريدون القضاء على دعوة الخير وأهلها.. الرسول ﷺ وهو يقود هذه الرحلة المباركة: نظر إلى ذلك السلاح البياني الإعلامي بواقعية

وموضوعية، ووجَّهه وجهة الخير ونصرة الحق، فهو يرضى عن الشعر الحسن في ميزان الحق والفضيلة. وقد رأينا أنه كان يحب سماعه ويستنشد من يحفظه، ولم يمنع أصحابه رضوان الله عليهم من ذلك، ولكنه ـ وعلى المحور نفسه ـ لا يرضى عن الشعر الذي يأخذ الاتجاه المضاد، وبيان ذلك في الواقعة التالية: فقد روى مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بينا نحن نسير مع رسول الله ﷺ بالعَرْج إذ عرض شاعر يُنشد فقال رسول الله ﷺ: «**خذوا الشيطان أو امسكوا الشيطان، لأن يمتلىء جوف رجل قيحاً خير له من أن يمتلىء شعراً**» وواضح أن هذا الشاعر لم يكن يقول شيئاً يرضي الله.

وقد أورد المحدثون أبواباً للشعر ذكروا فيها ما ورد عن رسول الله ﷺ بياناً لما جاء في القرآن الكريم بشأنه ومن ذلك ما نجد عند الإمام البخاري؛ في قوله: باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء وما يكره منه وقوله تعالى: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ وقد يكون حظ أصحاب المواهب البيانية والإعلامية من هذا أكثر من غيرهم والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

البناء والإعداد الإعلامي.. وتوجهات سورة الشعراء

«٨»

مما أشرت إليه فيما أسلفت من القول: أن قول الله تعالى في سورة الشعراء ﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً وَانتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا﴾ يحمل ــ والله أعلم ــ توجيه المنهج القرآني إلى العناية باستخدام الشعر والكلمة عموماً ــ من منطلق العقيدة ــ سلاحاً في مواجهة الباطل وأهله. وعلى هذا فالمسلم المؤهل لهذا مدعو إلى هذا الأمر، وفي المقابل: مطلوب أن تيسَّر له السبل المعنوية والمادية.

والحق أنه ما دام الصراع بين الحق والباطل قائماً، وما دام أعداء هذه الأمة سادرين في غيهم، لا يدعون باباً من الشر والأذى إلا ولجوه في محاربتها والعمل على إضعافها والحيلولة دونها ودون أن تستعيد وجودها الذاتي في الفكر والسياسة والاقتصاد والاجتماع، فتكون هي ــ بإذن الله ــ صانعة القرار فيما تريد.. الحق أنه ما دام الأمر كذلك؛ فإن إعداد القوة بكل أنواعها، والاستعداد لبناء الكفايات في كل الميادين ــ ومنها ميدان الكلمة خصوصاً على ساحة الإعلام ــ كل أولئك بعض مما يهدي إليه المنهج الرباني في تلكم الآيات من سورة الشعراء. لأن قوله تعالى: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً وَانتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا﴾ عام في دلالته، حيث ارتبطت القضية بالإيمان والعمل الصالح وذكر الله كثيراً وانتصار أولئك الشعراء بعد ما ظلموا.. وهذا العموم لا يمنعه سبب مخصوص يتعلق ببعض الشعراء المسلمين يومذاك.

وفي سيرة النبي ﷺ وهي التطبيق العملي لمنهج الكتاب العزيز، ما يدل على أنه عليه الصلاة والسلام نظر إلى الشعر بموضوعية بالغة، فذم منه ما يستحق الذم، وامتدح ما يستحق المديح، وعمل على استخدامه سلاحاً في معركة الصراع مع الشرك وأهله حين وجه الشعراء المسلمين إلى ذلك وقاموا بواجبهم خير قيام، وهذا يشعر بأنه لا يكفي أن يوجد صاحب الكلمة التي يراد لها أن تقاتل في سبيل الله وتسهم في وضع الأمور في نصابها خدمة للحق ودرءاً لتحديات الباطل، بل لا بد من أن يفسح لهذه الكلمة كي تقال، ليعطى صاحبها في ضوء العقيدة وما يمليه المنهج الرباني حرية أن يقول.

والآيات الكريمات جلّت هذه النقطة أعظم تجلية: فالشعراء المستثنون توافر لهم الإيمان والعمل الصالح وذكر الله كثيراً، وهم في وقفاتهم ينتصرون لعقيدتهم التي ظلموا وأوذوا من أجلها، وفي سبيل الله، وفي الوقت نفسه لم يحل حائل دونهم ودون أن يقولوا في الكفر وأهله، وفي الذبّ عن العقيدة وأهلها ما يجب أن يقال ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا﴾ أما أولئك الذين مرّغوا شرف الكلمة في التراب، ونزلوا بمكانة الشعر إلى الحضيض فوضعوه في خدمة الكفر والطغيان. فإنهم ظالمون ينتظرهم المصير الملائم لظلمهم. ولقد كان الوعيد بالغاً عندما تُرك المنقلب بلا تحديد كي يذهب الذهن فيه كل مذهب، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ وفي نقلة إلى الواقع أليست عملية التغيير التي ينشدها المخلصون بأمس الحاجة إلى الأخذ بالهداية التي يطرحها هذا المعلم القرآني والتي تبدو غضّة طريّة كأن آياتها تتحرّك اليوم؟!.

الإعلام والتحدي..
البناء في آيات سورة الشعراء.. والهدي النبوي
«٩»

آيات سورة الشعراء التي استترنا بهداها في كلمات قريبات وهي قوله تعالى بدءاً من الآية الرابعة والعشرين بعد المائتين ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً وَانتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾.

هذه الآيات البينات كانت محور الهدي النبوي في إعطاء كل جزئية من جزئيات هذه القضية على الصعيد العملي ما تستحق، فكان تصرف النبي ﷺ الصورة التطبيقية لما رسمه القرآن الكريم.

وقد ألمحت من قريب، إلى أن رسولنا الكريم نظر إلى الشعر بموضوعية بالغة، فامتدح منه ما يستحق المديح، وذم ما كان على العكس من ذلك، ووجه شعراء الإسلام إلى وضع شعرهم في خدمة المعركة التي تدور رحاها بين الإيمان والكفر، ويسَّر لهم السبيل إلى ذلك؛ فقد روى البخاري وأبو داود عن أبي بن كعب قال: إن النبي ﷺ قال: «**إن من الشعر حكمة**» وفي رواية للترمذي «**إنّ من الشعر حُكماً**» وأخرج أبو داود عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فجعل يتكلم بكلام، فقال عليه الصلاة والسلام: «**إن من البيان سحراً وإن من الشعر حكماً**». وقد ثبت أنه كان يستنشد الشعر الحسن ممن كانوا يحفظونه، ويحب أن يسمعه.

وقد أخرج مسلم عن عمرو بن الشريد الثقفي عن أبيه قال: ردِفت رسول الله ﷺ يوماً فقال: «**هل معك من شعر امية بن أبي الصلت شيء؟**» قلت: نعم قال: «هيه»، ثم أنشدته بيتاً فقال: «هيه»، حتى أنشدته مائة بيت.. وفي رواية قال: استنشدني رسول الله ﷺ ـ أي طلب أن أُنشده ـ وذكر مثله.

وهيه، ـ وفي رواية إيه ـ هي كلمة للاستزادة من الحديث المعهود. فالرسول ﷺ يستزيد رديفه الشريد الثقفي من شعر أمية بن أبي الصلت حتى أنشده مائة بيت.

وامتداداً لذلك: كان لا يمنع أصحابه من أن يتناشدوا الشعر من هذا المنطلق فعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: «**جالست النبي ﷺ أكثر من مئة مرة، فكان أصحابه يتناشدون الشعر ويتذاكرون أشياء من أمر الجاهلية وهو ساكت، فربما تبسَّم معهم**» أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

وإلى أن نلتقي على مزيد من السنة بياناً للآيات الكريمة أود أن أشير إلى أن هذه الوقائع في الهدي النبوي: جديرة بأن تحفِّز أصحاب المواهب البيانية إلى تنميتها واستخدامها في ميادين الصلاح والإصلاح، وتدفع صُنَّاع القرار إلى المعاونة بمنهجية في ذلك وما من ريب في أن تكامل البناء في شخصية المسلم: يقتضي أن لا تهمل موهبة البيان ـ بل تنمى في ضوء العقيدة والخلق كي تكون سلاحاً ومصدر عطاء في مواجهة التحدي. وما أكثر التحديات.. وسيعلم المفترون الظالمون أيَّ منقلب ينقلبون.

المواجهة والبناء..
والوجهة العملية في الهدي النبوي
«١٠»

أشرت ـ فيما سبق ـ إلى أن الرسول عليه الصلاة والسلام قد أخذ الوجهة العملية في استخدام الشعر سلاحاً على طريق مواجهة الكفار وتحدياتهم، وذلك في بيان فعلي لما جاء في الآيات الكريمات من سورة الشعراء وهي قول الله تعالى: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً وَانتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾.

وقبل الإتيان على بعض الوقائع في هذا الجانب الإعلامي من حياة الدعوة: أود أن أشير إلى أن الأمر في العهد المدني، كان أكثر وضوحاً حيث كان هنالك شعراء للإسلام ينافرون الأعداء ويصدعون بكلمة الحق. أما في العهد المكي: فكانت البداءة حيث تحوّل نفر من شعراء المشركين إلى الإيمان، وامتدحوا الإسلام ورسول الله ﷺ بعد الذي كان منهم من التكذيب والهجاء، وقد رأينا من أمثلة ذلك صنيعَ عبد الله بن الزبعرى، وأبي سفيان الحارث بن عبد المطلب، بعد أن أكرمهما الله بالدين الحنيف فاستبدلوا الكلمة الصادقة بكلمة الكفر والهجاء والافتراء. وفي عود على بدء: ها هي ذي وقائع عملية تأخذ دورها على ساحة الصراع في العهد المدني، ويمارس رسول الله بنفسه ترغيب الشعراء المسلمين وتشجيعهم على الوقفة الصادقة المجاهدة في وجه الكفر والطغيان، فقد روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يضع لحسّان منبراً في المسجد، يقوم عليه قائماً، يفاخر عن رسول الله ﷺ، أو ينافح، ويقول ﷺ: **«إن الله يؤيد حسان بروح القدس ما نافح أو فاخر عن رسول الله»**.

وفي رواية لأبي داود يضع لحسان منبراً في المسجد: فيقوم عليه يهجو من قال في رسول الله ﷺ وقال رسول الله: «**روح القدس مع حسان ما نافح عن رسول الله**» وأخرجه الترمذي بنحو الرواية الأولى.

وهذه واقعة شاعرها عبد الله بن رواحة. فقد أخرج الترمذي والنسائي عن أنس ابن مالك أن رسول الله ﷺ دخل مكة في عمرة القضاء وعبد الله بن رواحة يمشي بين يديه ويقول:

خلوا بني الكفار عن سبيله ... اليوم نضربكم على تنزيله

ضرباً يزيل الهام عن مقيله ... ويذهل الخليل عن خليله

فقال له عمر: يا بن رواحة بين يدي رسول الله ﷺ وفي حرم الله تقول الشعر؟! فقال ﷺ: «**خلِّ عنه يا عمر، فلهي أسرع فيهم من نضح النبل**» ونضح النبل بالنبل: وهي السهام العربية.

وإن لدرس يحمل البيان العملي التطبيقي لما وجهت إليه سورة الشعراء، وحسبك أن الرسول ﷺ، لم يشغله ما هو فيه من شؤون الدعوة ومتعلقاتها عن أن ينتهج هذا النهج الذي اعتبره من أسلحة المواجهة، ويهدي إلى تنمية هذه الموهبة البيانية ـ موهبة الشعر ـ وحسن استخدامها في ميدان من أعز ميادين الأمة وأغلاها، وهو صراعها مع الكفر والباطل، وهي تحمل راية الحق والخير لبني الإنسان، وترفع قواعد الحضارة المثلى في ظرف، كانت تبدو دعوة الحق فيها وهي أشبه بالجزيرة المضيئة في أبحرٍ من الظلمات.

خواتم سورة الشعراء.. ونظرة أخرى في البناء

«١١»

وقفنا المعلم القرآني ـ ونحن ننظر في خواتم سورة الشعراء ـ على ضرورة التنبه لما يستخدم العدو من سلاح إعلامي في معركة الصراع بين الكفر والإيمان، والحق والباطل كما وقفنا على أن الآيات الكريمات تهدي المسلمين إلى استخدام الشعر والكلمة البيانية عموماً في تلك المعركة، وذلك ما وجّه إليه رسول الله ﷺ شعراء المسلمين.

فالآيات المشار إليها وهي قول الله تعالى: ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً وَانتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾. تطرح قضية كبرى ذات علاقة بالصراع الدائر بين أهل الإيمان وأهل الشرك، وتأخذ بيد المسلمين إلى المنهجية واستنفاد الأسباب التي تؤدي ـ بإذن الله ـ إلى النصر، وما يمكن أن يستخدم لذلك من أسلحة ومنها سلاح البيان والإعلام، هذا بجانب التقويم الصحيح لأولئك الذين وضعوا الكلمة في غير موضعها، واتخذوا منها سلاحاً وجهوه إلى الحق وأهله..

من هنا تبدو تلك الآيات، وهي وثيقة الاتصال بالواقع وإن كانت قد تنزلت على سبب مخصوص في العهد المكي وقبل أربعة عشر قرناً من الزمان، لأنها في حقيقة الأمر تقعِّد قواعد عامة في إطار المنهج الذي على المسلمين أن يطبقوه في مواجهة التحديات.

والصور العملية التي رأيناها في سيرة النبي ﷺ تؤكد وتوضح هذا الذي نقول؛ فشعراء الصحابة في مواجهة الأعداء والمحاولة الجادة في فلِّ سلاحهم الإعلامي: كانوا على الاستقامة التي دلّ عليها قول الله تعالى: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً وَانتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ ورائع حقاً ما يُرى من ثقة الرسول ﷺ بما يصنع في وضع الكلمة المؤمنة يطلقها الشاعر المسلم: سلاحاً في وجه الشرك والطغيان فهو يقول ﷺ: **«خل عنه يا عمر فلهي اسرع فيهم من نضح النبل»**.

وتراه عليه الصلاة والسلام يقيم ارتباطاً متيناً بين موقف الشاعر يذود عن الحق، وبين العقيدة. وذلك ما يجب مراعاته عند تكوين شخصية المسلم، كي ينمو عنده هذا الارتباط الذي ينشىء الحوافز ويدفع إلى الإقدام فقد روى البخاري ومسلم عن البراء ابن عازب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يوم قريظة لحسان: **«أهج المشركين، فإن جبريل معك»** وفي رواية: **«أهجهم أو «هاجهم» وجبريل معك»**.

أرأيت إلى هذا التأييد الإلهي لشاعر مسلم ينقضّ على المشركين؟!! وهذا التأييد كائن ما توافر الإيمان، وصدقت النية.

والهدي النبوي في بيان الكتاب العزيز لا يغفل ما يجب أن يكون من الوعي والدقة عند من يقف ليواجه بالبيان والإعلام، كما تدل الواقعة التالية: أخرج البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: استأذن حسان بن ثابت رسول الله ﷺ في هجاء المشركين، فقال رسول الله ﷺ: **«فكيف سبي»**؟ فقال حسان: لأسلنّك منهم كما تسل الشعرة من العجين.

وسبحان من يوفق من يشاء لما يشاء.

البناء.. ونفي الشعر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

«١٢»

ما رأيناه في خواتم سورة الشعراء، يقودنا إلى قضية أخرى قد يحسب البعض أنها تتنافى مع رضا الرسول الكريم عن الشعر الحسن، واستثناء من يحفظه، ليسمع هو عليه الصلاة والسلام، ثم استخدام الشعر سلاحاً إعلامياً في المعركة التي أوقد المشركون وأعداء الله عموماً نارها في مواجهة الفئة المؤمنة التي تزاول عملية البناء الكبرى بأمانة ووعي للمسؤولية.

تلك القضية هي نفي القرآن الكريم عن رسول الله ﷺ أن يكون شاعراً، كما كان يحلو لبعض المشركين أن يقولوا ذلك فيه، تحويلاً للأنظار عن القرآن الكريم وإعجازه، وأنه موحىً به من عند الله عز وجل. وأين كلام الشاعر مهما أوتي من قوة العارضة وجمال التعبير من كلام الله المعجز الذي تحدى العرب ــ وهم أهل الفصاحة والبلاغة ــ من أول يوم، فعجزوا عن أن يأتوا بشيء من مثله؟!.

وإذن: فلا تعارض بين القضيتين؛ أن يستخدم الشعر سلاحاً ماضياً على ساحة الصراع بين الشرك والتوحيد: شيء، وأن يتكرر توكيد أن ما جاء به رسول الله ﷺ هو وحي أوحاه الله إليه بواسطة جبريل عليه السلام: شيء آخر.

ولقد أتى القرآن على زعم المشركين بأن رسول الله ﷺ شاعر في أكثر من موطن. ففي سورة الأنبياء نقرأ بدءاً من الآية الخامسة قول الله تعالى بشأن هذه الفرية: ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾﴾

ويستثير القرآن عقولهم ليتعلموا ولا يخبطوا خبط عشواء فيقول تعالى: ﴿مَا آمَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾﴾ وفي سورة الصافات نقرأ بدءاً من الآية السادسة والثلاثين: ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾﴾ ويجيء الرد الحاسم بقوله جل شأنه: ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الأَلِيمِ ﴿٣٨﴾﴾ ونجد في سورة الطور ما يزيد الأمر وضوحاً: ذلكم قول الله جلت حكمته بدءاً من الآية التاسعة والعشرين ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾﴾.

إنها فرية كانوا يعلمون أنها فرية وزعم باطل، لأن سمو بلاغة القرآن لم يكن يخفى عليهم ولكنه العناد الجاهلي! ثم أين سلوك الشاعر ـ بوصفه شاعراً ـ يومذاك من أخلاق الرسول ﷺ الموحى إليه بكتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

ولذلك جاء القول في هذه القضية الجذرية كما نجد في الآية التاسعة والستين من سورة يس: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾﴾ هكذا على الحصر: ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾ فما جاء به الرسول ﷺ ليس شعراً، ولكن ذكر وقرآن مبين. ولننظر في آيات من سورة الحاقة تبدأ من الآية الثامنة والثلاثين ذلكم قوله تعالى: ﴿لا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾﴾.

إن عطاء الكلمة القرآنية في إيضاح هذه الحقيقة، وأن ما جاء به رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام وحيٌ من عند الله عز وجل، وليس شعراً أو كلاماً من عنده: قد يبدو أمراً بسيطاً للمؤمن ـ بوصفه مؤمناً ـ ولكنه في الواقع حجر الزاوية في بناء الجيل ـ ذكوراً وإناثاً ـ وتثقيفهم الثقافة الأصيلة التي تزيد المؤمن إيماناً،

وتشعره أنه يقف على اليابسة بوجود ذاتي أصيل وهو يسهم في إدارة حركة الحياة. الأمر الذي يحول دونه ودون اختلاط الأمور والتباس المفهومات والمصطلحات، وبذلك يظل قويَّ النُّسغ بهذا العطاء الإيماني المعرفي، صحيح الانتماء إلى خير أمة أخرجت للناس، قادراً ـ بعون الله ـ على الإسهام في تحقيق عبودية الله في الأرض على مختلف الأصعدة، وبناء الصرح المأمول لحضارة يرتضيها دين الحق والعدالة والوعي الشامل، وهو الإسلام، والحمد لله الذي هدانا لهذا الخير الصحيح وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.